الشيخ الدكتور عبد المجيد الزنداني
رحمه الله*

أسلموا لما سمعوا البشارات



شاء الله سبحانه أن ينقذ البشرية في الحقبة الأخيرة من تاريخها -على حين فترة من الرسل- برسالة خاتمة لجميع الرسالات السابقة، صالحة لكل زمان ومكان إلى قيام الساعة، فاختار سبحانه لهذه المهمّة عبده ورسوله محمداً ﷺ النبي العربي الأمي، وأهله لحمل هذه الرسالة، وجعل له قبل مجيئه وظهوره إلى الدنيا مقدمات وبشارات تنبئ وتبشر بظهوره.

وأخذ الله سبحانه الميثاق على جميع الأنبياء بالتصديق بمحمد ﷺ إذا جاءهم، قال سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ

* عبد المجيد الزنداني، بينات الرسول ومعجزاته، (دمشق: دار وحي القلم، ٢٠٠٦)، ص١٧ وما بعدها.

مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١]. قال قتادة: هذا ميثاق أخذه الله على النبيين أن يصدّق بعضهم بعضاً، وأن يبلّغوا كتاب الله ورسالاته، فبلغت الأنبياء كتاب الله ورسالاته إلى قومهم، وأخذ عليهم -فيما بلغهم رسلهم- أن يؤمنوا بمحمد ﷺ ويصدقوه وينصروه[١].



وأشار -سبحانه- إلى القرآن العظيم في كتب الأنبياء السابقين كما قال تعالى ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٦]. أي: أن ذكر هذا القرآن موجود ومنوّه به في كتب الأنبياء السابقين، وهذا الكتاب هو الرسالة التي حملها النبي الخاتم إلى البشرية.

ومن ثمّ تناقلت أمم الأرض عن طريق الأحبار والرهبان والكهان خبر النبي الخاتم الذي بشّرت به النبوات السابقة، ولما انقطعت الرسالة بعد عيسى عليه السّلام فترة من الزمن[٢]، زاد تلهف أمم الأرض إلى النّبيّ الخاتم، وكان عيسى عليه السّلام هو آخر من بشر بمحمد ﷺ من الأنبياء كما قال تعالى عنه في خطابه لبني إسرائيل:

---

١ أخرجه الطبري بسند حسن، كما في التفسير الصحيح ١/ ٤٣٠.

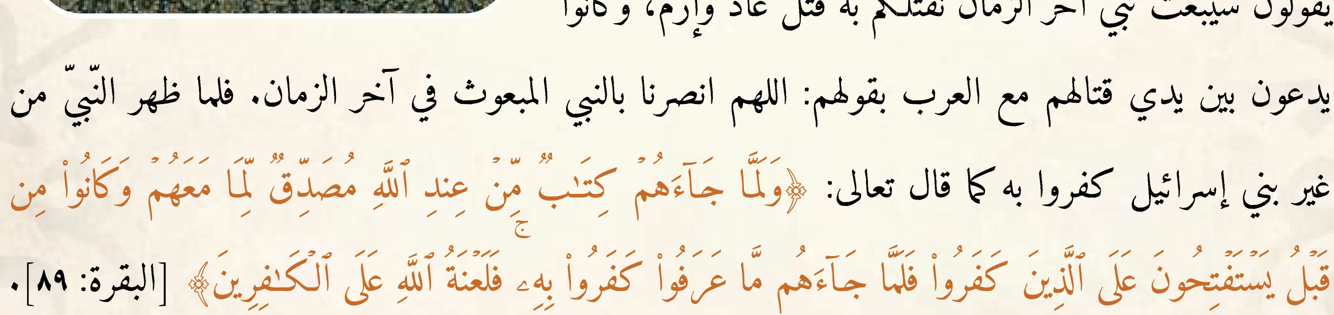
٢ الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام تقدر بستمائة عام، قال تعالى: ﴿يا أَهْلَ الْكِتابِ قَدْ جاءَكُمْ رَسُولُنا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا ما جاءَنا مِنْ بَشِيرٍ وَلا نَذِيرٍ فَقَدْ جاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ﴾ [المائدة: ١٩] .

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الصف: ٦].

وبدأ أهل الكتب وغيرهم كالهندوس والمجوس يتوقعون قرب ظهوره بناء على ما يجدونه في كتبهم وأخبار أنبيائهم من الوعد بمقدمه والإخبار بزمان ظهوره ومكانه.

وقد سجّل التاريخ في هذه الفترة مقدمات وحوادث تدل على قرب مقدمه وظهوره ﷺ، منها ما كان قبل مولده، ومنها ما كان عند مولده، ومنها ما كان قبل بعثته.

فأمّا ما كان قبل مولده فمنه تناقل الأحبار والرهبان لذكر النبي الخاتم، بل كان اليهود في بلاد العرب عندما يقاتلون قبيلة من العرب يخوفونهم بقرب مبعث نبي يقاتلونهم معه فكانوا يقولون سيبعث نبي آخر الزمان نقتلكم به قتل عاد وإرم، وكانوا يدعون بين يدي قتالهم مع العرب بقولهم: اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان. فلما ظهر النّبيّ من غير بني إسرائيل كفروا به كما قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩].



- ومن الإرهاصات على قرب مقدم النّبيّ أن الراهب (عيصا) الذي ترك بلاد الشام وقدم إلى قرب مكة، أخبر أهل مكة أنه قد حان زمن النبي الذي تدين له العرب والعجم، والذي سيكون من أهل مكة[٣].

---

٣ الخصائص الكبرى للسيوطي ١/ ٥٠، وقد أورد كثيراً من الأخبار عن إرهاصات مقدم محمد ﷺ، فمن أحب الازدياد من ذلك فليرجع إليه.

وإنما كان أهل الكتاب يعرفون ذلك من كتبهم وأخبار أنبيائهم، كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

- ومن الإرهاصات على مقدمه في عام ولادته أن الله سبحانه أهلك نصارى الحبشة القادمين من اليمن لهدم الكعبة المشرفة التي ستكون قبلة للرسول القادم وأمّته، مع أن قريشاً كانت قد أعلنت تخليها عن البيت لعجزها عن الدفاع عنه، حيث قال عبد المطلب: «للبيت رب يحميه».

ومعلوم أن هذا الإهلاك لم يكن لأجل المشركين، وإنما كان ذلك حماية لقبلة الرسول القادم وأمته. قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ * أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ * وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ * تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ * فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ [الفيل: ١-٥].

- ومن إرهاصات مقدمه إلهام الله لجدّه عبد المطلب أن يختار له الاسم الفريد بين قومه «محمد» والذي تطابق مع ما جاء في البشارات السابقة، دون علم من جده أو أحد من أهله بذلك.

- ومن ذلك خاتم النبوة الذي كان علامة مميزة على ظهره الشريف تدل على نبوته كما ذكر ذلك في الكتب السابقة[٤]، وقد روي أن أحد أحبار اليهود أغمي عليه عندما رأى علامة خاتم النبوة على مولود في مكة من غير بني إسرائيل[٥]؛ لأنه وقومه اليهود كانوا يتمنون أن يكون من بني إسرائيل.

- ومن الإرهاصات في أول طفولته البركة التي حلت في بيت مرضعته حليمة السعدية حيث كانت أنعامهم تروح شباعاً ممتلئة باللبن الكثير، بينما كانت تلك البلاد مجدبة والناس يشكون جوع الأنعام[٦].

---

٤ أخبر أحد رهبان النصارى سلمان الفارسي رضي الله عنه أن من علامات النبي الخاتم أن على ظهره خاتم النبوة، وتعرف عليه بعد ذلك في المدينة النبوية بهذه العلامة، كما أخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي.

٥ الخصائص الكبرى للسيوطي ١/ ٤٩.

٦ رواه ابن حبان والطبراني، وقال الذهبي: هذا حديث جيد الإسناد. انظر صحيح السيرة النبوية ص ٥٢.

- ومن الإرهاصات حادثة شق الصدر وهو صغير، أخبر أنس رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه فشق عن قلبه واستخرج القلب ثم شق القلب، فاستخرج منه علقة فقال: هذا حظ الشيطان منك. ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم لأمه فأعاده مكانه. وجعل الغلمان يسعون إلى أمه [أي: مرضعته] فقالوا: إن محمدا قد قُتل! فاستقبلوه وهو منتقع اللون، قال أنس: فلقد كنت أرى أثر المخيط في صدره[٧].

حفظه من الرذائل والمنكرات



مع أنه شاب عاش في بيئة جاهلية وبين جاهليين، لم يذكر عنه شيء من الرذائل، ولو عُرف شيء من ذلك لَعِيبَ به، لا سيما مع حرصهم الشديد على إلصاق التهم -الكاذبة- به بعد نبوته. ومع ذلك عاش محفوظاً من الرذائل طوال عمره، وقد قال سبحانه ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُواْ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٩]. وقال سبحانه مرشداً رسوله أن يقول لهم: ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [يونس: ١٦].

وفي خلال هذه الفترة عرف قومه صدقه ونزاهته وأمانته وكريم أخلاقه حتى عُرف بينهم بالصادق الأمين، وأمّنوه على ودائعهم وأماناتهم، واستمر ذلك منهم حتى أثناء خصومتهم له بعد النبوة، فهل يُعقل ممن هذه صفاته أن يصدق الناس ويكذب على الله، ويحفظ أمانات الناس ويخون أمانة الله؟

---

٧ أخرجه أحمد ومسلم.

تسميته ﷺ بالأمين



- ومن الإرهاصات أن قريشاً كانت تدعوه بالأمين. فقد اختصمت قريش من يرفع الحجر الأسود عندما أعادوا بناء الكعبة، فحكّموا بينهم أول داخل، فدخل رسول الله ﷺ فقالوا: قد جاء الأمين[٨].

ومن حفظ الله له أنه هَمّ أن يستمع للغناء في سمر مع أهل مكة في ليلتين فعصمه الله منهما، بأن ألقى عليه النوم حتى أصبح[٩].

- **ومن مقدمات بعثته أن حجرا كان يسلّم عليه**

قال النبي ﷺ: «إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم عليّ قبل أن أبعث.. إني لأعرفه الآن»[١٠].

- **ومن مقدمات بعثته الرؤيا الصالحة الصادقة وتحبيب التعبد إليه**

قالت عائشة رضي الله عنها: «أول ما بُدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء، فيتحنث فيه». وهو التعبد الليالي ذوات العدد «قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة، فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق [الوحي] وهو في غار حراء»[١١].

---

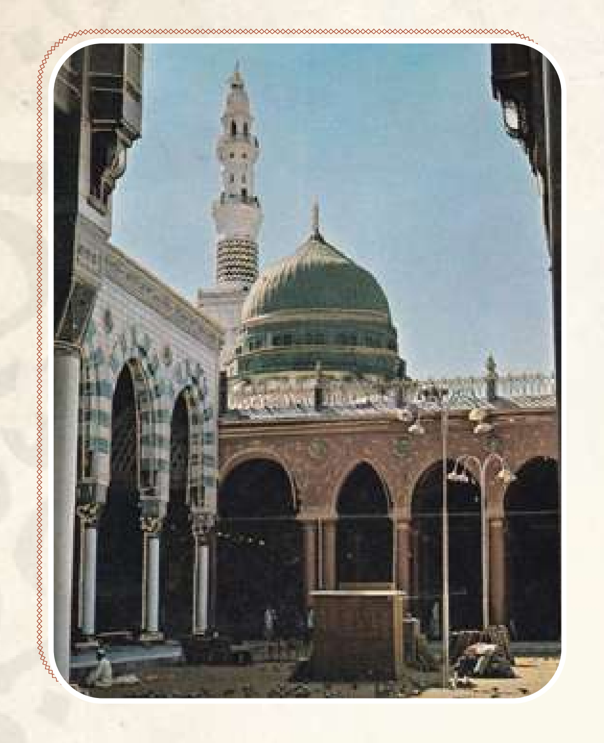
٨ رواه الحاكم وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي. انظر: صحيح السيرة النبوية ص٦٤.

٩ رواه ابن إسحاق، وإسحاق بن راهوية والبزار وابن حبان، قال الحافظ: وإسناده حسن متصل انظر سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد لمحمد بن يوسف الصالحي ٢/ ١٤٨ وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

١٠ أخرجه مسلم وأحمد.

١١ البخاري ك/ بدء الوحي، ب/ حدثنا يحيى بن بكير.

الذين أسلموا بسبب البشارات



وأما بعد بعثته ﷺ فقد شاهدنا سرعة إقبال أهل المدينة على الإسلام، يحثهم على ذلك ما كانوا يسمعونه من اليهود عن مَقدمه، وما كانوا يستفتحون به على أعدائهم كما بينا، بينما كان أهل مكة يصدون عنه ويحاربونه.

وكان عبد الله بن سلام ممن أسلم أيضاً على هذه البشارات وهو أعلم أحبار اليهود القاطنين في المدينة المنورة باعتراف اليهود أنفسهم، وهو ممن قال الله تعالى فيه: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأحقاف: ١٠].

وكان عبد الله بن سلام قد بلغه مقدم النبي ﷺ المدينة، فأتاه يسأله عن أشياء فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبيّ: ما أول أشراط الساعة؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة؟ وما بال الولد ينزع إلى أبيه أو أمه؟ قال ﷺ: أخبرني به جبريل آنفاً. فقال ابن سلام: ذاك عدو اليهود من الملائكة.

قال ﷺ: «أما أول أشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق إلى المغرب. وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت. وأما الولد فإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد، وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزعت الولد». قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله. قال: يا رسول الله، إن اليهود قوم بهت، فاسألهم عني قبل أن يعلموا بإسلامي.

فجاءت اليهود، فقال النبي ﷺ: أي رجل عبد الله بن سلام فيكم؟ قالوا: خيرنا وابن خيرنا، وأفضلنا وابن أفضلنا فقال النبي ﷺ: أرأيتم إن أسلم عبد الله بن سلام؟ قالوا: أعاذه الله من ذلك. فأعاد عليهم، فقالوا مثل ذلك. فخرج إليهم عبد الله فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله.

قالوا: شرنا وابن شرنا، وتنقصوه.

قال: هذا كنت أخاف يا رسول الله"[١٢].



وكان زيد بن سُعنة ممن أسلم على هذه البشارات أيضاً، وهو من علماء اليهود حيث تعرف على صفات النبي ﷺ، والتي منها أنه لا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلماً[١٣].

وممن أسلم على ذلك أيضاً من اليهود كعب الأحبار بعد معرفته بتلك البشارات، وقد سأله عبد الله بن عباس كيف تجد نعت رسول الله ﷺ في التوراة؟ فقال كعب: نجده محمد بن عبد الله، يولد بمكة ويهاجر إلى طابة ويكون ملكه بالشام، وليس بفحاش ولا صخاب بالأسواق، ولا يكافئ بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر، أمته الحمادون يحمدون الله في كل سراء وضراء، ويكبرون الله على كل نجد، يوضؤون أطرافهم ويأتزرون في أوساطهم، يصفّون في صلاتهم كما يصفون في قتالهم، دويّهم في مساجدهم كدوي النحل، يستمع مناديهم في جو السماء"[١٤].

١٢ أخرجه البخاري ك/ مناقب الأنصار، ب/ حدثني حامد بن عمر.

١٣ أخرج الطبراني عن عبد الله بن سلام.

١٤ سنن الدارمي ج ١/ ١٧.

وكان ممن أسلم أيضاً على هذه البشارات جماعة من أهل الكتاب من نصارى الحبشة، ذكرهم الله سبحانه بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ * وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ * أُو۟لَـٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [القصص: ٥٢-٥٤].

وقد ورد في الروايات التاريخية أن وفداً من نصارى الحبشة قدموا على النبي ﷺ، فسألوه عن الدين فأجابهم وعرفوا من أوصافه ما في كتبهم فأسلموا، فكان ذلك مثار حنق وأذية المشركين لكن هذا الوفد أعرض عنهم كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَـٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَـٰهِلِينَ﴾ [القصص: ٥٥].



وكان ممن أسلم على البشارات في الكتب السابقة: سلمان الفارسي رضي الله عنه، الذي لقي أحد رهبان النصارى فذكر له علامات النبي المنتظر، وصفة المدينة ذات النخل التي سيهاجر إليها النبي، وهيأ الله لسلمان الفارسي أسباباً ساقته إلى المدينة المنورة، فانطبقت عليها أوصاف المدينة التي ذكرها له الراهب، فمكث فيها حتى جاءها النبي مهاجراً، فتعرف على صفاته التي ذكرت له، وأسلم بعد أن رأى التطابق بين الوصف والحقيقة.

وكان ممن صدق بالنبي ﷺ من أهل الكتاب: ورقة بن نوفل القرشي الذي كان على الديانة النصرانية، فعند ما قصّ له النبي ﷺ ما جاءه من الوحي بواسطة الملك جبريل قال: «هذا الناموس الذي نزل الله على موسى...»، ثم تمنى أن يطول به العمر لنصر النبي ﷺ حين يعاديه الناس[١٥].

١٥ البخاري كـ/ بدء الوحي، ب/ حدثنا يحي بن بكير.

وكان ممن صدّق النبي ﷺ من النصارى ملك الحبشة، حيث سمع من أصحاب النبي ﷺ حقيقة دين الإسلام المطابق لما جاء به عيسى عليه السّلام[١٦]، ولذلك دخل في الإسلام، وصلى عليه النبي ﷺ حين وفاته.

وممن أسلم من النصارى أيضا عديّ بن حاتم الطائي، عندما سمع نقد بعض الأمور في ديانته من النبي ﷺ[١٧].

وممن أقر بنبوة محمد ﷺ ولم يدخل في الإسلام هرقل ملك النصارى الروم، الذي قال لأبي سفيان بن حرب بعد أن سأله عن أحوال وصفات محمد ﷺ: «قد كنت أعلم أنه خارج ولم أكن أظن أنه منكم، فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه»[١٨].

ومثله المقوقس عظيم القبط في مصر، الذي أهدى للنبي ﷺ جاريتين، وأهدى له أيضاً بغلة يركبها.

وكذلك دخل في الإسلام على أساس هذه البشارات عدد كبير من الأحبار والرهبان، وغيرهم من أهل الديانات عبر التاريخ وإلى يومنا هذا.

ومما يؤسف له أن تلك البشارات بمحمد ﷺ قد تعرضت للتحريف والإخفاء من قبل بعض علماء اليهودية والنصرانية عبر التاريخ، وما زالت تلك التغيرات تطرأ على الكتب إلى يومنا هذا. ويوجد كثير من البشارات التي تعرضت للإخفاء والتحريف في النسخ التي كان يحتج بها علماء المسلمين عبر التاريخ على اليهود والنصارى، كما كان يحتج بها من أسلم منهم على قومه... وبالرغم من هذا التحريف فقد أبقى الله في هذه الكتب من نور البشارات بمقدم محمد ﷺ ما يقيم الحجة في عصرنا على أهل هذه الكتب، ويثبّت إيمان المؤمنين.

---

١٦ انظر السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٣٧٤، دار إحياء التراث العربي.

١٧ فقد روي أن النبي ﷺ قال له: إيه يا عدي بن حاتم! ألم تك ركوسياً؟ قال: قلت بلى. قال: أولم تكن تسير في قومك بالمرباع؟ قال: قلت: بلى، قال: فإن ذلك لم يكن يحل لك في دينك قال: قلت: أجل والله، وقال: وعرفت أنه نبي مرسل يعلم ما يجهل. انظر السيرة النبوية لابن كثير، ٤/ ١٢٣، دار إحياء التراث العربي.

١٨ أخرجه البخاري في صحيحه ك/ بدء الوحي، ب/ حدثنا أبو اليمان.